# موقف نحاة البصرة من الاستشهاد بالقراءات القرآنية

## سيبويه والأخفش الأوسط نموذجا

نشوة محمد محمد السيد حسانين

ماجستيرفي اللغة العربية –كلية اللغة العربية

جامعة الإنسانية – قدح دار الأمان- ماليزيا

ملخص البحث:
" شغلت القراءات أذهان النحاة منذ نشأة النحو،ذلك لأن النحاة الأول نشأ النحو علي أيديهم كانوا قراء كأبي عمرو بن العلاء،وعيسي بن عمرو الثقفي(1) [2]،ويونس(3) والخليل ، ...فأبو عمرو بن العلاء ،كما يحدثنا أبو عبيدة ،كان يقرأ "لتخِذتِ عليه أجرا"(4)قال أبو عبيدة ،فسألته عنه،فقال:هي لغة فصيحة،وأنشد قول الممزق العبدى:

وقد تخِذتْ رجلي إلي جنب غرزها نسيفا كأفحوص القطاة المطرق.(5)

" وقد استمد علماء اللغة والنحو قواعدهم من كتاب الله تعالى ، و كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكلام العرب الفصيح . فقعّدوا القواعد ، لتكون حامية للقرآن والسنة ، بل لتكون في خدمة كتاب الله . والحق أنه إذا ثبتت القراءة حسب الأركان التي مرت بنا قبل قليل ، فينبغي أن تكون القراءة هي الحكم على القاعدة النحوية ، لا أن نرجع نحن بالقراءة إلى القاعدة النحوية ، لأن هذه القراءة مسموعة عن أفصح العرب

1 –هو مولى خالد بن الوليد المخزومي، نزل في ثَقِيف، وأخذ عن ابن أبي إسحاق وكان يطعُن على العرب.
وكان يقرأ: {هؤلاء بناتي هنَّ أطهرَ لكم}، وهذا مخالف لما قاله النحويون أجمعون ولِمَا قرأتْ به القُرَّاء، وأنكرها أبو عمرو بن العلاء عليه، فقال: كيف تقول: هؤلاء بَنِيَّ، هم ماذا؟ فقال: عشرين رجلا. فأنكرها أبو عمرو.انظر :طبقات النحويين واللغويين (سلسلة ذخائر العرب 50) 40-41، محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج الزبيدي الأندلسي الإشبيلي، أبو بكر (المتوفى: 379هـ)،المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم،الطبعة: الثانية، دار المعارف.

3 – يونس بن حبيب،هو أبو عبد الرحمن الضبي، مولًى لهم. وكان من أهل جَبُّل. أخذ عن أبي عمرو. وكان النحو أغلب عليه. قال ابن عائشة: قال يونس بن حبيب: أول مَن تعلمتُ منه النحو: حماد بن سلمة. وعاش ثمانيًا وثمانين سنة. وتوفي يونس –رحمه الله– سنة اثنتين وثمانين ومئة. انظر المرجع السابق 51-43.

4 – قرأ بذلك أبو عمرو وابن كثير ويعقوب .انظر معجم القراءات3./388،د.أحمد مختار عمر، ود.عبد العال سالم مكرم .

5 –أثر القراءات القرآنية فى الدراسات النحوية،55،د.عبد العال سالم مكرم،والبيت....

بالإجماع ، وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو سيد الفصحاء ، وسيد أهل البيان (6).

وبعد ، فقدجاء هذا البحث في تمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة: أما المبحث الأول فجاء بعنوان:حول القراءات.وأما المبحث الثاني فجاء بعنوان:موقف سيبويه من القراءات. وأما المبحث الثالث فجاء بعنوان: موقف الأخفش الأوسط من القراءات.

تمهيد:

تعددت آراء النحاة في العصر الحديث حول قضية استشهاد النحاة،البصريين والكوفيين بالقراءات القرآنية ،واختلفوا حول أول من بدأ حملة الطعن على القراء والقراءات ،فمنهم من ذهب إلي أن من بدأ "هذه الحملة الآثمة علي القراء بتلحينهم،ورد قراءاتهم واستتفتح بابها ،وحمل لواءها نحاة البصرة المتقدمون ،ثم تطاير شررها إلي بعض نحاة الكوفة ،فأسهم فيها.(7)

" وذهب آخرون إلى رد هذه التهمة عن البصريين ، واعتبروا ما جاء من ذلك عنهم ، إنما هو من متأخري نحاة البصرة ، وليس ممن أصل أصولهم النحوية ، ومد أقيستها ، وشرح عللها "(8) حيث "كان القرآن الكريم وقراءاته مدداً لا ينضب لقواعدهم ، وتوقف نفر منهم إزاء أحرف قليلة في القراءات لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة ، وجدوها لا تطرد مع قواعدهم ، بينما تطرد معها قراءات أخرى آثروها ، وتوسع في وصف ذلك بعض المعاصرين ، فقالوا إنهم كانوا يردون بعض القراءات ،

6 – تلحين النحويين للقرّاء،14،أ. د : ياسين جاسم المحيمد،أستاذ النحو والصرف،كلية اللغة العربية – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

7 – المقتضب،119/1،أبو العباس محمد بن يزيد المبرد،210-285 هـ ،جمهورية مصر العربية، وزارة الأوقاف ،المجلس الأعلى للشئون الإسلامية،لجنة إحياء التراث الإسلامي،تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة،القاهرة/1415هـ-1994م.

8 – مجلة دراسات يمنية العدد/80 حقيقة رأي البصريين والكوفيين في الاستشهاد بالقراءات القرآنية علي قواعدهم النحوية /126،د.محمد عبد الفتاح عبوش،أستاذ مساعد كلية التربية ،جامعة تغر.

ويضعفونها ، كأن ذلك كان ظاهرة عامة عند نحاة البصرة ، مع أنه لا يوجد في كتاب سيبويه نصوص صريحة تشهد لهذه التهمة الكبيرة.(9)

ولعل خير طريق نسلكه لمعرفة أي الفريقين خير رأيا هو أن نذهب إلى كتب نحاة البصرة ونحاة الكوفة ونتتبع آراءهم في كتبهم هذه لنعرف آراءهم ونقف عليها ونتثبت منها بأنفسنا ونصل إلى الحكم الذي ستمليه علينا هذه الآراء المنثورة في كتبهم ولنبدأ بشيخ نحاة البصرة سيبويه لنعرف رأيه ونقف عليه من خلال كتابه" الكتاب"

## المبحث الأول : حول القراءات

للقراءات القرآنية أهمية خاصة في فهم العربية وإثرائها لذا كان"من العلوم التي ينبغي الاعتماد عليها في دراسة العربية الفصحى علم القراءات القرآنية ، مشهور ها و شاذ ها ؛لأن رواياتها هي أوثق الشواهد على ما كانت عليه ظواهرها الصوتية والصرفية والنحوية واللغوية بعامة في مختلف الألسنة واللهجات .بل إن من الممكن القول بأن هذه القراءات المشهور منها والشاذ هي أغنى مأثورات التراث بالمادة اللغوية التي تصلح أساسا للدراسة الحديثة، والتي يلمح فيها المرء صورة تاريخ هذه اللغة الخالدة.(10)

أضف إلى ما تقدم أنك إذا ما علمت" أن القراءات القرآنية هي الوثيقة التاريخية التي نطمئن إليها في فقه اللغة الفصحى من جميع نواحيها،الوثيقة التي تنتقل إلينا بالصورة والصوت معا،يتوارثها القراء جيلا عن جيل،أدركنا أهمية دراستها بطريقة علمية،إذ إن هذه القراءات على اختلاف رواياتها سجل دقيق لما كان يجري في كلام العرب من تصرفات صوتية ولغوية"(11)ونحوية وصرفية.

### مفهوم القراءات:

9 –المدارس النحوية /19،د.شوقى ضيف،الطبعة السابعة،دار المعارف.

10 – القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ص7،8 بتصرف.د.عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي القاهرة.

11 – أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ص9 د عبد الصبور شاهين ،ط1 ، 1408 –1987م، مكتبة الخانجي القاهرة.

## أولا :مفهوم القراءة لغة

يأتي قرأ في اللغة بمعنى جمع الأشياء وضم بعضها إلى بعض ، وفلان أقرأُ الناس بمعنى أكثرهم قراءة ،أو أتقنهم قراءة،يقول ابن منظور:

"قَرَأَهُ يَقْرَؤُهُ ويَقْرُؤُهُ ... قَرْءاً وقِراءة وقُرآناً ... ويُسمى كلام اللّه تعالى الذي أَنزله على نبيه صلى اللّه عليه وسلم كتاباً وقُرْآناً وفُرْقاناً ومعنى القُرآن معنى الجمع وسمي قُرْآناً لأَنه يجمع السُّوَر فيَضُمُّها وقوله تعالى "إِنَّ علينا جَمْعه وقُرآنه "(12)أَي جَمْعَه وقِراءَته، "فَإِذا قَرَأْنَاهُ فاتَّبِعْ قُرْآنَهُ "(13)أَي قِراءَتَهُ .قال ابن عباس ،رضي اللّه عنهما، فإِذا بيَّنَّاه لك بالقراءة فاعْمَلْ بما بَيَّنَّاه لك ...ويقال: كان أَقْرَأَ منه قال ويجوز أَن يريد به أَكثرَهم قِراءة ،ويجوز أَن يكون عامّاً وأَنه أَقرأُ الصحابة أَي أَتْقَنُ للقُرآن وأَحفظُ ورجل قارئٌ من قَوْم قُرَّاءٍ وقَرَأَةٍ وقارِئِين وأَقْرَأَ غيرَه يُقْرِئه إِقراءً ،ومنه قيل فلان المُقْرِئُ. (14)

وأما مفهوم القراءات اصطلاحا فيتضح على النحو التالي:.

واعلم أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان ،فالقرآن هو الوحى المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للبيان والإعجاز، والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحى المذكور في كتابة الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما . (15)

أو هي: مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء مخالفا به غيره في النطق بالقرآن الكريم مع اتفاق الروايات والطرق عنه سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئاتها.(16)

---

12 - القيامة /17

13 -القيامة/18

14 - لسان العرب128/1، ابن منظور ،الناشر : دار صادر – بيروت،الطبعة الأولى،وانظر كذلك الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،65/1 إسماعيل بن حماد الجوهري،تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت،الطبعة: الرابعة 1407 هـ - 1987 م

15 - البرهان في علوم القرآن، 318/1بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى : 794هـ) المحقق : محمد أبو الفضل إبراهيم،الطبعة : الأولى ، 1376 هـ - 1957 م،: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

16 - مناهل العرفان في علوم القرآن،محمد عبد العظيم الزرقاني ،دار الفكر - بيروت،الطبعة الأولى ، 1996،تحقيق : مكتب البحوث والدراسات.

وعرفها الامام ابن الجزري –رحمه الله– بقوله :

"علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة". (17)

وعرفها غيره بقوله القراءات : "مذهب من مذاهب النطق في القرآن يذهب به إمام من الأئمة القرَّاء مذهبًا يخالف غيره." (18)

وعرفت كذلك بأنها :كل خلاف نُسب إلى إمام من أئمة القراءات مما أجمع عليه الرواة عنه ، نحو قوله تعالى : {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}1 فكلمة "مالك" تقرأ بحذف الألف ، وهي قراءة أبي جعفر ونافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وحمزة ، وتقرأ بإثبات الألف "مالك" وهي قراءة عاصم والكسائي ويعقوب وخلف العاشر ، وما دام رواة هؤلاء الأئمة المذكورين لم يختلفوا مع بعضهم في نقل قراءة هذه الكلمة؛ فلأجل ذلك نسبت القراءة إلى شيخ كل واحد منهم ، وعُبر عن الخلاف المذكور بكلمة "قراءة" فقيل : قراءة الإمام نافع ، وقراءة الإمام عاصم... وهكذا . (19)

وقالوا كذلك في تعريف القراءات إنها : وجوه مختلفة في الأداء من النواحي الصوتية، أو التصريفية، أو النحوية واختلاف القراءات على هذا النحو اختلاف تنوع وتغاير لا اختلاف تضاد وتناقص؛ لأن التناقص والتضارب يتنزه عنهما الكتاب العزيز، وقد قال تعالى : {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} (20) ، ولأن التناقض في القول دليل بطلانه، وقد قال رب العالمين : (لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ). (21)

## مفهوم الأحرف السبعة :

17 – منجد المقرئين ومرشد الطالبين،9/1 ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: 833هـ)،الناشر: دار الكتب العلمية،الطبعة: الأولى 1420هـ –1999م.

18 – مباحث في علوم القرآن،171/1مناع القطان،مكتبة المعارف للنشر والتوزيع،الطبعة : الطبعة الثالثة 1421هـ – 2000م

19– صفحات في علوم القراءات،12/1، أبي طاهر عبد القيوم بن عبد الغفور السندي،المكتبة الأمدادية،الطبعة الأولى– 1415 هـ.

20– النساء : 82.

21 – مدخل في علوم القراءات،22/1 ، السيد رزق الطويل، المكتبة الفيصلية،الطبعة الأولى 1405هـ – 1985م.

تدل الأحاديث الصحيحة "دلالة واضحة على أن القرآن الكريم نزل على الأحرف السبعة ، وتلك الأحرف تتمثل في القراءات القرآنية التي نُقلت إلينا نقلًا صحيحًا متواترًا. (22)

وهذا أبو العباس النحوي(23) يذهب إلى أن الأحرف السبعة هي سبع لغات "روى عن أَبي العباس أَنه سئل عن قوله نزل القرآن على سبعة أَحرف فقال ما هي إلا لغات ... وهذه السبعة أَحرف التي معناها اللغات غير خارجة من الذي كتب في مصاحف المسلمين التي اجتمع عليها السلَف المرضيُّون والخَلَف المتبعون ،فمن قرأَ بحرف ولا يُخالِفُ المصحف بزيادة أَو نقصان أَو تقديم مؤخّرٍ أَو تأْخير مقدم وقد قرأَ به إمام من أَئمة القُرّاء المشتهرين في الأَمصار، فقد قرأَ بحرف من الحروف السبعة التي نزل القرآن بها ،ومن قرأَ بحرف شاذّ يخالف المصحف وخالف في ذلك جمهور القرّاء المعروفين ،فهو غير مصيب،وهذا مذهب أَهل العلم الذين هم القُدوة ومذهب الراسخين في علم القرآن قديماً وحديثاً ،وإلى هذا أَوْمأَ أَبو العباس النحوي وأَبو بكر بن الأَنباري في كتاب له أَلفه في اتباع ما في المصحف الإمام والأحرف السبعة هي التي جاء الحديث الصحيح بالإشارة إليها عن ابن عباس أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ « أَقْرَأَنِى جِبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ فَرَاجَعْتُهُ ، فَلَمْ أَزَلْ

22 – مدخل في علوم القراءات29/1، الدكتور / السيد رزق الطويل،المكتبة الفيصلية،الطبعة الأولى 1405هـ – 1985م.

23 –هو أحمد بن يحيى النحوي بن يزيد، مولى بني شيْبان، المعروف بثعلب. ،كان ثقةً صدوقًا حافظًا للُّغة عالما بالمعاني،توفي سنة 86هجرية انظر طبقات النحويين واللغويين 141/1-144(سلسلة ذخائر العرب ) محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج الزبيدي الأندلسي الإشبيلي، أبو بكر (المتوفى: 379هـ)المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم،الطبعة: الثانية،: دار المعارف .

أَسْتَزِيدُهُ وَيَزِيدُنِي حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ ».(24) ووافقه على ذلك أَبو بكر بن مجاهد مُقْرِئ أَهل العراق وغيره"(25)

وأمام هذا النص وغيره نصوص كثر اختلف أهل المعرفه بعلوم القرآن في معني نزول القرآن علي سبعة أحرف،فذهبوا في ذلك مذاهب شتي،وتباينت أراؤهم تباينا كبيرا، "وسأسوق من رواتهم ما يحتاج إليه فأقول اختلف في معنى هذا الحديث على نحو أربعين قولا:

أحدها: أنه من المشكل الذي لا يدرى معناه لأن الحرف يصدق لغة على حرف الهجاء وعلى الكلمة وعلى المعنى وعلى الجهة ...

الثاني: أنه ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد ،بل المراد التيسير والتسهيل والسعة ولفظ السبعة يطلق على إرادة الكثرة في الآحاد ،كما يطلق السبعون في العشرات والسبعمائة في المئين ،ولا يراد العدد المعين ،وإلى هذا جنح عياض ومن تبعه ويرده ما في حديث ابن عباس في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أقرأني جبريل على حرف ،فراجعته ،فلم أزل أستزيده، ويزيدني ،حتى انتهى إلى سبعة أحرف ،وفي حديث أبيّ عند مسلم :إن ربي أرسل إليّ أن أقرأ القرآن على حرف ،فرددت إليه أن هوّن على أمتي ،فأرسل إليّ أن اقرأ على حرفين ،فرددت إليه أن هوّن على أمتي ،فأرسل إلي أن اقرأه على سبعة أحرف. (26)

فالسبعة أحرف تعني ، حسبما ذهب أصحاب الرأي السابق ، المشكل الذي لا يدرى معناه،وتعني كذلك: الكثرة ولا يرادبها حقيقة العدد.

الرأي "الثالث: أن المراد بها سبع قراءات وتعقب بأنه لا يوجد في القرآن كلمة تقرأ على سبعة أوجه إلى القليل مثل { وعبد الطاغوت}(27) و { فلا تقل لهما أف }(28)

24 – صحيح مسلم165/1 : مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، : دار إحياء التراث العربي – بيروت ،تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي

25 –لسان العرب لابن منظور41/9

26 – الإتقان في علوم القرآن 309/1-310 أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ،شهرته : السيوطي،تحقيق: مركز الدراسات القرآنية،دار النشر : مجمع الملك فهد،البلد : السعودية،الطبعة : الأولى.

27 – المائدة/60.

الرابع :وأجيب بأن المراد أن كل كلمة تقرأ بوجه أو وجهين أو ثلاثة أو أكثر إلى سبعة ويشكل على هذا أن في الكلمات ما قرئ على أكثر وهذا يصلح أن يكون قولا رابعا.(29)

وخلاصة هذيين الرأيين السابقين الثالث والرابع أن الأحرف السبعة هي سبع قراءات ،أو أن المراد بها :كل كلمة تقرأ على أكثر من وجه إلى سبعة أوجه.

"الخامس: أن المراد بها الأوجه التي يقع فيها التغاير. ذكره ابن قتيبة قال:

فأولها: ما يتغير حركته ولا يزول معناه وصورته مثل { ولا يضار كاتب }(30) بالفتح والرفع.

وثانيها :ما يتغير بالفعل مثل { باعَد } و { باعِد }(31) بلفظ الماضي والطلب

وثالثها :ما يتغير بالنقط مثل { ننشزها } و {ننشرها }(32)

ورابعها :ما يتغير بإبدال حرف قريب المخرج مثل { وطلح منضود }{ وطلع }(33).

وخامسها: ما يتغير بالتقديم والتأخير مثل { وجاءت سكرة الموت بالحق } {وجاءت سكرة الحق بالموت}(34) .

وسادسها: ما يتغير بزيادة أو نقصان مثل { وما خلق الذكر والأنثى } { والذكر والأنثى}(35).

وسابعها :ما يتغير بإبدال كلمة بأخرى مثل {كالعهن المنفوش} و {كالصوف المنفوش (36) وتعقب هذا قاسم بن ثابت(37) بأن الرخصة وقعت وأكثرهم يومئذ لا

28 -الإسراء /23.
29 -الإتقان للسيوطي1:/311
30 -البقرة/ 286
31 -سبأ/19
32 -البقرة:295
33 - الواقعة / 29
34 - ق/ 19
35- الليل/3
36 - القارعة/4

يكتب ولا يعرف الرسم ،وإنما كانوا يعرفون الحروف ومخارجها ،وأجيب بأنه لا يلزم من ذلك توهين ما قاله ابن قتيبة لاحتمال أن يكون الانحصار المذكور في ذلك وقع اتفاقا وإنما اطلع عليه بالاستقراء. (38)

وخلاصة رأى ابن قتيبة أن المراد بالأحرف السبعة الأوجه التي يقع فيها التغاير سواء كان هذا التغاير في الحركة ،أو ما يتغير في الفعل ،أو ما يتغير بإبدال حرف قريب المخرج ،أو ما يتغير بالتقديم والتأخير، أو ما يتغير بزيادة أو نقصان، أو ما يتغير بإبدال كلمة بأخرى.

الرأي السادس هو رأي أبو الفضل الرازي ، و الأحرف السبعة عنده لا تخرج " عن سبعة أوجه في الاختلاف .

الأول : اختلاف الأسماء من إفراد ،وتثنية، وجمع، وتذكير،وتأنيث .

الثاني: اختلاف تصريف الأفعال من ماض ،ومضارع، وأمر .

الثالث :وجوه الإعراب.

الرابع :النقص والزيادة.

الخامس : التقديم والتأخير .

السادس: الإبدال.

السابع: اختلاف اللغات ،كالفتح والإمالة، والترقيق والتفخيم ،والإدغام والإظهار ونحو ذلك. (39)

أما اختلاف الأسماء هذا الذي أشار إليه الإمام الرازي، رحمه الله، من إفراد ،وتثنية، وجمع، وتذكير،وتأنيث ، فيمكن التمثيل له بقوله تعالى" وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ " (40) إذ قرئ "لأماناتهم" بالجمع ،وكذا"لأمانتهم"بالإفراد(41).

37- هو قاسم بن ثابت السرقسطي، أندلسي،له كتاب "الدلائل"في الغريب ، احتفل في تأليفه، ومات قبل إكماله، فأكمله أبوه. مات ثابت في سنة أربع عشرة وثلاث مئة،انظر سير أعلام النبلاء،563/14، الامام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى748 هـ 1374 م، تحقيق:شعيب الأرنؤوط،مؤسسة الرسالة،الطبعة التاسعة 1413 هـ 1993 م ،بيروت – شارع سوريا – بناية صمدي وصالحة

38 -الإتقان للسيوطي:311/1/-313

39 - الاتقان للسيوطي 313/1

40 - المؤمنون/8

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: " وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ "(42) هكذا"الغرفات" جمعا ،وقرئ "الغرفة"بالإفراد. (43)

أما اختلاف تصريف الأفعال من ماض ،ومضارع، وأمر ،فيمكن التمثيل له بقوله تعالى: "فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا " (44) إذ قرئ "باعِد" وكذا قرئ "باعَد". (45)

أما اختلاف وجوه الإعراب فمنه " وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ" (46)، وقرئ "إبليسَ ظنُّه" (47)

أما الاختلاف بالنقص والزياة فمنه ما جاء في قوله تعالى:" جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ "[48]إذ قرئ "من تحتها "بزيادة "من" (49)

وأما الأختلاف بالتقديم والتأخير فمنه قوله تعالى: "وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِ" (50)،إذ قرىء"وجاءت سكرة الحق بالموت" (51)

---

41 – قرأ بالإفراد ابن كثير ،وأبو عمرو ، ونافع ،وابن محيصن ، انظر معجم القراءات القرآنية ،د.أحمد مختار عمر،ود.عبد العال سالم مكرم
202/4 ،ط2: 1408هـ ،1988م،مطبوعات جامعة الكويت.

42-سبأ/37

43 –قرأ بالإفراد حمزة والأعمش وطلحة، انظر معجم القراءات القرآنية ،د.أحمد مختار عمر،ود.عبد العال سالم مكرم 164/5

44 –سبأ/19

45 – قرأ بصيغة الماضي هذه يعقوب ،ومحمد ابن الحنفية، وابن عباس،وغيرهم ، انظر معجم القراءات القرآنية ،د.أحمد مختارعمر،ود.عبد العال سالم مكرم 155/5

46 – سبأ/20

47 – قرأ بذلك جعفر ابن محمد ويعقوب وغيرهما، انظر معجم القراءات القرآنية ،د.أحمد مختارعمر،ود.عبد العال سالم مكرم 157/5

48 –التوبة/100

49 –قرأ بزيادة" من"ابن كثير وابن محيصن ،انظر معجم القراءات القرآنية ،د.أحمد مختارعمر،ود.عبد العال سالم مكرم38/3

50 – ق /19

51 – قرأ بذلك أبو بكر الصديق وعبد الله ابن مسعود وغيرهما انظر معجم القراءات القرآنية ،د.أحمد مختارعمر،ود.عبد العال سالم مكرم234/6

وأما الاختلاف بالإبدال فمنه ما جاء في قوله تعالى :" نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا " (52) إذ قرىء "نُنْشِرُها"(53)

وأما اختلاف اللغات فمنه ماجاء في قوله تعالى:" كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ"(54) إذ قرىء لفظ "الناس" بالفتح والإمالة.(55)

هذا وهناك من ذهب إلى أن المراد بالأحرف السبعة هو "كيفية النطق بالتلاوة من إدغام وإظهار ،وتفخيم وترقيق ،وإمالة وإشباع ،ومد وقصر، وتشديد وتخفيف وتليين وتحقيق ."(56)

وأما ابن الجزرى فيتضح رأيه في في قوله " أَنِّي تَتَبَّعْتُ الْقِرَاءَاتِ صَحِيحَهَا وَشَاذَّهَا وَضَعِيفَهَا وَمُنْكَرَهَا، فَإِذَا هُوَ يَرْجِعُ اخْتِلَافُهَا إِلَى سَبْعَةِ أَوْجُهٍ مِنَ الِاخْتِلَافِ لَا يَخْرُجُ عَنْهَا، وَذَلِكَ إِمَّا فِي الْحَرَكَاتِ بِلَا تَغْيِيرٍ فِي الْمَعْنَى وَالصُّورَةِ: نَحْوَ (الْبُخْلِ) بِأَرْبَعَةٍ (وَيَحْسَبُ) بِوَجْهَيْنِ، أَوْ بِتَغَيُّرٍ فِي الْمَعْنَى فَقَطْ نَحْوَ" فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ"(57)، "وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ"(58)، وَ (أَمَهٍ) ([59])، وَإِمَّا فِي الْحُرُوفِ بِتَغَيُّرِ الْمَعْنَى لَا الصُّورَةِ نَحْوَ (تَبْلُوا وَتَتْلُوا) وَ (نُنَحِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ)(60) وَ(نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ)(61)، أَوْ عَكْسِ ذَلِكَ نَحْوَ (بَصْطَةً )(62)وَ(بَسْطَةً)(63) ،وَ (الصِّرَاطَ )(64)وَ(السِّرَاطَ) (65)،

52 - البقرة /259

53 -قرأ بذلك ابن عباس وغيره، انظر معجم القراءات القرآنية ،د.أحمد مختارعمر،ود.عبد العال سالم مكرم 200/1

54 - البقرة/264

55 - قرأ بالإمالة أبو عمرو

56 - الاتقان للسيوطى 314/1

57 - البقرة37

58 -يوسف45

59 -قرأ بذلك ابن عباس وابن عمر وغيرهما انظر معجم القراءات القرآنية ،د.أحمد مختارعمر،ود.عبد العال سالم مكرم173/3

60 -قرأ بذلك أبى وابن مسعود انظر معجم القراءات القرآنية ،د.أحمد مختارعمر،ود.عبد العال سالم مكرم92/3

61 - يونس 92

62 -قرأ بذلك نافع وبن كثير وغيرهما انظر معجم القراءات القرآنية ،د.أحمد مختارعمر،ود.عبد العال سالم مكرم191/1

63 - البقرة/247

أَوْ بِتَغَيُّرِهِمَا نَحْوَ (أَشَدَّ مِنْكُمْ، وَمِنْهُمْ) وَ (يَأْتَلِ )[66]وَ(يَتَأَلَّ)[67] وَ (فَامْضُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ) ، وَإِمَّا فِي التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ نَحْوَ (فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ)(68) و(جاءت سكرة الموت بالحق)[69] و{جاءت سكرة الحق بالموت}(70) .أَوْ فِي الزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ نَحْوَ (وَأَوْصَى )(71)وَ(وَصَّى)[72] وَ (الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى) فَهَذِهِ سَبْعَةُ أَوْجُهٍ لَا يَخْرُجُ الِاخْتِلَافُ عَنْهَا، وَأَمَّا نَحْوُ اخْتِلَافِ الْإِظْهَارِ، وَالْإِدْغَامِ، وَالرَّوْمِ، وَالْإِشْمَامِ، وَالتَّفْخِيمِ، وَالتَّرْقِيقِ، وَالْمَدِّ، وَالْقَصْرِ، وَالْإِمَالَةِ، وَالْفَتْحِ، وَالتَّحْقِيقِ، وَالتَّسْهِيلِ، وَالْإِبْدَالِ، وَالنَّقْلِ مِمَّا يُعَبَّرُ عَنْهُ بِالْأُصُولِ، فَهَذَا لَيْسَ مِنَ الِاخْتِلَافِ الَّذِي يَتَنَوَّعُ فِيهِ اللَّفْظُ وَالْمَعْنَى ; لِأَنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ الْمُتَنَوِّعَةَ فِي أَدَائِهِ لَا تُخْرِجُهُ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَفْظًا وَاحِدًا، وَلَئِنْ فُرِضَ فَيَكُونُ مِنَ الْأَوَّلِ.(73)

64 -الفاتحة/6

65 – قرأ بذلك بن كثير والكسائى وغيرهما انظر معجم القراءات القرآنية ،د.أحمد مختارعمر،ود.عبد العال سالم مكرم11/1

66 – النور/22

67 – قرأ بذلك أبو جعفر وزيد بن أسلم وغيرهماانظر معجم القراءات القرآنية ،د.أحمد مختارعمر،ود.عبد العال سالم مكرم243/4

68 – التوبة /9

69 -ق/19

70 – قرأ بذلك أبو بكر الصديق وعبد الله بن مسعود وغيرهما انظر معجم القراءات القرآنية ،د.أحمد مختارعمر،ود.عبد العال سالم مكرم234/6

71 –قرأ بذلك أبو جعفر ونافع وغيرهما انظر معجم القراءات القرآنية ،د.أحمد مختارعمر،ود.عبد العال سالم مكرم116/1

72 – البقرة 132

73 – النشر في القراءات العشر،1/26-27، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى : 833 هـ)،تحقيق علي محمد الضباع (المتوفى 1380 هـ)،الناشر : المطبعة التجارية الكبرى [تصوير دار الكتاب العلمية].

ورأى غيره أن المرادبالأحرف السبعه هى" سبعة أوجه من المعاني المتفقة بألفاظ مختلفة نحو أقبل وتعال وهلم وعجل وأسرع وإلى هذا ذهب ابن جرير وابن وهب وغيرهم (74)

وأما الرأى الذي أرجحه فهو رأي الإمام الرازى والإمام الجزري الذى سبق أن فصلته وبينته.

## المبحث الثاني : موقف سيبويه من القراءات القرآنية:

كتاب سيبويه أقدم ما وصل إلينا من كتب النحو،وقد جمع فيه مؤلفه أكثر علوم العربية كالأصوات اللغوية والصرف والنحو والقراءات ،والضرورات الشعرية .ويعد أهم مصدر في دراسة النحو العربي الذي تضافرت على بنائه الأجيال، وإليه يرجع الدارسون في كل ما يكتبون عن النحو وأصوله وعن الأساليب العربية.وكان القرآن الكريم وقراءاته مصدرا مهما لسيبويه حينما وضع القواعد ودون الأصول.(75)

يقول أحد الباحثين :"وقد أحصيت شواهد القرآن الكريم في كتاب سيبويه من خلال(فهرس كتاب سيبويه) الذي وضعه الأستاذ أحمد راتب النفاخ فوجدت عدتها ستة وتسعين وثلاثمائة شاهد وشواهد القراءات منها نحو سبعة وخمسين ومائة شاهد أى أن نسبتها تصل إلى 40% تقريبا من مجموع الشواهد القرآنية ،وهي نسبة عالية تبرز اهتمامه بالقراءات واعتماده عليها.(76)

وليس هناك أي نوع من المبالغة حينما يقال :إن "سيبويه يعتبر القرآن الأساس الأول في الاستشهاد،والغالب أنه يضع عنوان الباب الذي يتحدث عنه ويمثل له بأمثلة يقيسها على القرآن ويذكر بعدها الآيات الواردة في الموضوع،ثم بما ورد عن

74 – الاتفان في علوم القرآن للسيوطي 316/1

75 – مجلة كلية الآداب/جامعة بغداد ،موقف سيبويه من القراءات والحديث /185،د.خديجة الحديثي ،العدد/14،المجلد الأول،1مطبعة المعارف بغداد،1970-1971.

76 – أصول النحو العربي ص34،د.محمود أحمد نحلة ، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان،ط1407،1هـ-1987م.

العرب من عبارات سمعها أو رواها عمن سمعها من شيوخه ومن يثق به من الرواة ،ثم بالشواهد الشعرية.(77)

وهذا بعض حديث سيبويه الذي يدل على ذلك:" وإنّما يجوز رأيتُ زيداً أباه،ورأيت زيدا عمراً، أَن يكون أراد أن يقول: رأيتُ عمرا، أو رأيتُ أبازيد فَغَلِطَ أو نَسِيَ، ثم استَدرك كلامَه بعد ، وإمّا أن يكون أَضْرَبَ عن ذلك فنَحَّاه وجعل عمراً مكانَه ، فأَمّا الأوّل فجيّدٌ عربي، مثلُه قوله عزّ وجلّ: " ولله على الناس حج البيت من استطاع عليه سبيلا "(78) ؛ لأنهم من الناس. ومثلُه إلاَّ أنَّهم أعادوا حرفَ الجرّ: " قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم "(79).

ويقول في موضع آخر مستشهدا بالقرآن:" وقد يكون علمتُ بمنزلة عرفتُ لا تريد إلاَّ عِلْمَ الأوّل. فمن ذلك قوله تعالى: " ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت "(80)، وقال سبحانه: " وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم " (81) ، فهي ههنا بمنزلة عرفتُ كما كانت رأيت على وجهينِ.(82)

ومن ذلك أيضا قوله:" وتقول: أمّا زيدٌ فسلامٌ عليه، وأَمّا الكافرُ فلعنةُ الله عليه؛ لأنَّ هذا ارتَفَعَ بالابتداء.

وأمّا قوله عزّ وجلّ: " الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة "(83). وقوله تعالى: " والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما "(84)، فإن هذا لم يُبْنَ على الفعل، ولكنه جاء على مثل قوله تعالى: " مَثَلُ الجَنَّة الَّتِي وُعِدَ المتَّقُونَ "(85). ثمَّ قال بَعْدُ: " فيها أنهار من ماء "(86)، فيها كذا وكذا. فإنما وُضِعَ المثَلُ

77 – موقف سيبويه من القراءات د.خديجة الحديثي :ص188-189
78 –آل عمران/9
79 –الأعراف/75 ،وانظر :الكتاب لسيبويه 1/151-152
80 – البقرة/65.
81 –الأنفال/60.
82 – الكتاب لسيبويه 1/40.
83 – النور/2
84 – المائدة /38
85 – محمد /15
86 – محمد /15

للحديث الذى بعده، فذكر أخباراً وأحاديثَ، فكأَنه قال: ومن القَصَص مَثَلُ الجنّة، أو مما يقص عليكم مَثَلُ الجنّة، فهو محمول على هذا الإضمارِ " ونحوِه ". والله تعالى أعلم.(87)

هذا ، والأمثلة على استشهادات سيبويه رحمه الله بالقرآن كثيرة جدا ،وليس هذا موضع إحصاء لها ،وإن كنت قد أشرت إلى هذا الإحصاء قبل ذلك.

هذا عن القرآن ،أما عن القراءات ،فكان له منها موقف آخر.

"فسيبويه شيخ النحاة البصريين الذين كانوا يخضعون القراءات لأقيستهم وإجماعهم وأصولهم المعتمدة ،وإن كانت عن القراء الذين اعتمدت قراءاتهم ونقلت نقلا متواترا عن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم لم يعب قارئا ولم يخطئ قراءة بل كان يذكرها ليبين وجها من العربية وليقوي ما ورد عن العرب .

وإن كانت القراءات المفردة لا يخطئها ولا يخطئ القارئ بها إنما يحاول تخريجها على إحدى لغات العرب ؛لأنه يرى اللغات الواردة عن العرب فصيحة صحيحة وإن قل من يتكلم بها ولا يرى المتكلم بها مخطئا...فكيف يخطئ القراء وهم أئمة المسلمين وأعلامهم ،وما قرأوا به لا يخالف لأن قراءة سنة متبعة ،يقول: فأما قوله عزّ وجلّ:

وأود أن أؤكد أن موقف سيبويه من القراءات"يختلف باختلاف الموضع الذي يتحدث فيه ،ففي بعضها يقيس علي القراءة ويعتبرها الأصل كما فعل عند كلامه على اجراء صلة (من)وخبره اذا عنيت اثنين كصلة (اللذين) وإذا عنيت جميعا كصلة (الذين)(88)يقول " وزعم الخليل رحمه الله أن بعضهم قرأ: " ومَن تقنُتْ مِنْكُنَّ للهِ وَرَسُولِهِ "، فجُعلت كصلة التي حين عنيتَ مؤنثا. فإذا ألحقت التاء في المؤنث ألحقت الواو والنون في الجميع.

قال الشاعر حين عنى الاثنين، وهو الفرزدق:

تعال فإنْ عاهدتَني لا تخونُني ... نكنْ مثلَ مَن يا ذئبُ يصطحبان(89)

فقاس الجمع على المؤنث.(90)

87 - الكتاب لسيبويه 142-143.

88 - موقف سيبويه من القراءات د.خديجة الحديثي :ص/217.

89 - البيت في الديوان على النحو التالي: تعشَّ فإن واثقتني لا تخونني، نكن مثل من يا ذئب يصطحبان .

ديوان الفرزدق،628،شرحه وضبطه الأستاذ علي فاعور ،دار الكتب العلمية بيروت ،لبنان ،ط1407،1هـ-1987م.انظر الكتاب لسيبويه ص2/ 415-416.

ومن استشهاده بالقراءات قوله: "وأما قوله عز وجل: " إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقلَّ مِنْكَ مَالاً وَوَلَداً " فقد تكون أنا فصلا وصفة، وكذلك " وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظمَ أجراً ".

وقد جعل ناسٌ كثير من العرب هو وأخواتها في هذا الباب بمنزلة اسمٍ مبتدأ وما بعده مبني عليه، فكأنك تقول: أظن زيدا أبوه خيرٌ منه، ووجدتُ عمرا أخوه خيرٌ منه. فمن ذلك أنه بلغنا أن رؤبة كان يقول: أظن زيدا هو خيرٌ منك. وحدثنا عيسى أن ناساً كثيراً يقرؤونها: " وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانوا هُمُ الظَّالِمُونَ "(91).

"ويحمل القراءات المخالفة لسواد المصحف على اللغات يقول:" واعلم أن بقيان الياء لغة في النداء في الوقف والوصل، تقول: يا غلامي أقبل. وكذلك إذا وقفوا.وكان أبو عمرو يقول:" يا عِبَادى فاتّقونِ ".(92)

ومن ذلك قوله :" وأما قول بعضهم في القراءة: " إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِه "(93) فحرك العين فليس على لغة من قال نِعْمَ فأسكن العين، ولكنه على لغة من قال نِعم فحرك العين. وحدثنا أبو الخطاب أنها لغة هذيلٍ، وكسروا كما قالوا لِعِبٌ.(94)

"فإن خالفت القراءة القياس في لغة العرب لا يردها ولا يخطؤها أو يعيبها أو ينكرها إنما كان يحملها على ما ورد من عبارات وشواهد عن العرب خالفت فيه القياس والمشهور ،أو يشبه هذه الشواهد بالقراءة ويحملها عليها ، ويرى أنه مما يسمع ولا يقاس عليه يقول :(95)

"وزعموا أنّ بعضَهم قرأ: " وَلاَتَ حِينُ مناَص " (96)وهي قليلة، كما قال بعضهم في قول سعد بن مالك القيسى:

---

90- موقف سيبويه من القراءات د.خديجة الحديثي :ص:217.

91- الزخرف/76 قرأ بها عبد الله بن مسعود وغيره انظر معجم القراءات126/6،د.أحمد مختار عمر، ود.عبد العال سالم مكرم .وانظر الكتاب لسيبويه ص 392/2-393.

92 - انظر موقف سيبويه من القراءات د.خديجة الحديثي :ص/218.وانظر كذلك الكتاب لسيبويه 210/2. والآية من الزمر /16.

93 - النساء /58.

94 - الكتاب لسيبويه 439/4-440.

95 - موقف سيبويه من القراءات د.خديجة الحديثي :ص:218.

96 - قرأ بها أبو السمال .انظر معجم القراءات255/5،د.أحمد مختار عمر، ود.عبد العال سالم مكرم .

مَنْ فَرَّ عن نِيرانِها ... فأنا ابْنُ قَيْسٍ لا بَراحُ

جَعلها بمنزلة ليس، فهي بمنزلة لاتَ في هذا الموضع في الرفع ." (97)

ونراه بعد ذلك يقول معلقا على هذا النص :" وزعموا أنّ بعضَهم قال، وهو الفرزدق:

فأصبْحُوا قد أعادَ اللهُ نِعْمَتَهُمْ ... إذ هُمْ قُرَيْشٌ وإذا ما مِثلَهُمْ بَشَرُ

وهذا لا يَكاد يُعْرَف، كما أنّ " لاتَ حينُ مَناصٍ "كذلك. ورُبَّ شيء هكذا، وهو كقول بعضهم: هذه ملحفة جديدة، في القِلَّةِ." (98)

على هذا النحو يصف سيبويه اللغة التي أتى عليها بيت الفرزدق بقوله: "وهذا لا يَكاد يُعْرَف"ثم يجري هذا الحكم على قراءة "لاتَ حينُ مَناصٍ" فيقول: كما أنّ " لاتَ حينُ مَناصٍ "كذلك. "

وقد يقرأ بعض القراء بلغة قومه مخالفا ما جاء في المصحف لعدم علمه به ومن ذلك ما جاء عن سيبويه :"ومثلُ ذلك قوله عزّ وجلّ: " ما هذا بشرا " في لغة أهل الحجاز. وبنو تميم يَرْفعونها إلاَّ من دَرى كيف هي في المصحَفِ."(99)

"ويقيس سيبويه القراءات على ما سمعه من العرب كما في قوله: وقال الخليل رحمه الله من قال يا زيدُ والنّضْرَ فنصب، فإنما نصب لأن هذا كان من المواضع التي يُردّ فيها الشيء إلى أصله. فأما العرب فأكثر ما رأيناهم يقولون: يا زيدُ والنضرُ. وقرأ الأعرج: " يا جِبالُ أوبي معه والطيرُ ".(100) فرفع. ويقولون: يا عمرو و الحارثُ، وقال الخليل رحمه الله: هو القياس ."(101)

97 – الكتاب لسيبويه58/1، والبيت في المعجم المفصل في شواهد اللغة ،78/2،د.إميل بديع يعقوب ،دار الكتب العلمية ،بيروت ، لبنان،ط1417،1هـ –1996م.

98 –المصدر السابق 60/1 ،والبيت في ديوان الفرزدق ص /167.

99 – المصدر السابق 59/1.

100 – قرأ بها أبو عمرو وعاصم وغيرهم ، انظر معجم القراءات146/5،د.أحمد مختار عمر، ود.عبد العال سالم مكرم .

101 – انظر موقف سيبويه من القراءات د.خديجة الحديثي :ص/219.وانظر كذلك الكتاب لسيبويه 186/2–187.

وقد استشهد سيبويه بقراءة شاذة على مايجوز فيه الرفع وذلك في :" ما يجوز فيه الرفع مما ينتصب في المعرفة":وذلك قولك: هذا عبد الله منطلقٌ،... وزعم الخليل رحمه الله أن رفعه يكون على وجهين:

فوجهٌ أنك حين قلت: هذا عبد الله أضمرت هذا أو هو، كأنك قلت هذا منطلق أو هو منطلق. والوجه الآخر: أن تجعلهما جميعا خبرا لهذا، كقولك: هذا حلوٌ حامضٌ، لا تريد أن تنقض الحلاوة، ولكنك تزعم أنه جمع الطعمين. وقال الله عز واجلّ: "كلا إنها لظى. نزاعة للشوى ". وزعموا أنها في قراءة أبي عبد الله. " هذا بعلي شيخٌ ".

قال: سمعنا ممن يروى هذا الشعر من العرب يرفعه:

من يكُ ذا بتّ فهذا بتّي ... مقيّظٌ مصيّفٌ مُشَتِّي(102)

وقد ترد في الآية الواحدة قراءتان مختلفان يستشهد بسيبويه بهما معا ولا يرجح بينهما مثاله قوله: وقد قُرئ هذا الحرف على وجهين: " قُل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصةٌ يوم القيامة "، بالرفع والنصب.(103)

" وقد يرجح سيبويه بين قراءتين ويصف احداهما بأنها أجود من الأخرى وإن كانت الأخرى عربية فصيحة كما في قوله(104) :" ومثلُ ذلك قولُه جلّ ثناؤه: " وأما ثمود فهديناهم " وإنما حَسُنَ أن يُبْنَى الفعلُ على الاسم حيث كان مُعْمَلاً فى المضْمَرِ وشَغَلْتَه به، ولولا ذلك لم يحسن؛ لأنك لم تشغله بشيء.

وإن شئت قلت: زيداً ضربتُه، وإنَّما نصبهُ على إضمار فعلٍ هذا يفَّسره، كأنّك قلتَ: ضربتُ زيداً ضربتُه، إلاّ أنّهم لا يُظهِرون هذا الفعلَ هنا للاستغناءِ بتفسيره. فالاسمُ ها هنا مبني على هذا المضمَرِ...

وقد قرأ بعضُهم: " وأما ثمود فهديناهم "...فالنصب عربيٌ كثيرٌ والرفْعُ أَجودُ.(105)

102 – الكتاب لسيبويه 84/2 .

103 – انظر موقف سيبويه من القراءات د.خديجة الحديثي :ص/220.وانظر كذلك الكتاب لسيبويه91/2.

104 – انظر موقف سيبويه من القراءات د.خديجة الحديثي :ص/220.

105 –الكتاب لسيبويه 82/1.

"وقد يبين سيبويه إحدى القراءتين ولا يشير إلى حكم الأخرى مثاله قوله :" وقد قرأ أناس: "والسارق والسارقة " و " الزانية والزانِيَ "، وهو فى العربيّة على ما ذكرت لك من القوَّة. ولكن أَبَتِ العامَّةُ إلاّ القراءةَ بالرفع.(106)

وفي مواضع أخرى "يبين وجه كل من القراءات وإن لكل منها وجها حسنا لأنه عربي جاء لغة من لغات العرب من ذلك قوله : "واعلم أنَّ الهمزتين إذا التقتا وكانت كل واحدةٍ منهما من كلمة، فإنَّ أهل التحقيق يخفِّفون إحداهما ويستثقلون تحقيقهما ...، كما استثقل أهل الحجاز تحقيق الواحدة. فليس من كلام العرب أن تلتقي همزتان فتحققا، ومن كلام العرب تخفيف الأولى وتحقيق الآخرة، وهو قول ابي عمرو. وذلك قولك:" فقد جا أشراطها"، "ويا زَكريَّا إنا نبشرك".

ومنهم من يحقِّق الأولى ويخفف الآخرة، سمعنا ذلك من العرب، وهو قولك:" فقد جاء اشراطها"...

وكان الخليل يستحب هذا القول فقلت له: لمه؟ فقال: إنيَّ رأيتهم حين أرادوا أن يبدلوا إحدى الهمزتين اللَّتين تلتقيان في كلمة واحدة أبدلوا الآخرة، وذلك: جاىءٍ وآدم. ورأيت أبا عمروٍ أخذ بهنَّ في قوله عزَّ وجلَّ: " يا ويلتا أللد وأنا عجوز "، وحقق الأولى. وكلٌّ عربي.(107)

"وقد ترد في الآية الواحدة مختلفتان يستشهد سيبويه بهما معا ولا يرجح بينهما مثاله في قوله: وقد قُرئ هذا الحرف على وجهين: " قُل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصةٌ يوم القيامة "، بالرفع والنصب.

وقد قرأ الناس هذه الآية على وجهين: " قُل إن ربي يقذف بالحق علاّمُ الغُيوب "، و " علامَ الغُيوب ".(108)

"وإن جاءت القراءة على غير المشهور من أوجه التعبير أو على الاستعمال القليل فيه نجده يفسرها ويؤولها حتى يعيدها إلى ماهو القياس والأكثر عندهم، أو يسأل عنها أحد شيوخه الذي يخرجها تخريجا يبعدها عن الضعف أو الشذوذ أو

106 – انظر موقف سيبويه من القراءات د.خديجة الحديثي :ص/221.وانظر كذلك الكتاب لسيبويه141/1.

107 – انظر موقف سيبويه من القراءات د.خديجة الحديثي :ص/221.وانظر كذلك الكتاب لسيبويه549/3.

108 – انظر موقف سيبويه من القراءات د.خديجة الحديثي :ص/220.وانظر كذلك الكتاب لسيبويه91/2،وكذلك 147/2.

القلة .مثاله قوله : وسألته عن قوله عز وجل: " وما يشعركم إنَّها إذا جاءت لا يؤمنون "، ما منعها أن تكون كقولك: ما يدريك أنه لا يفعل؟ فقال: لا يحسن ذا في ذا الموضع، إنما قال: وما يشعركم، ثم ابتدأ فأوجب فقال: إنَّها إذا جاءت لا يؤمنون. ولو قال: وما يشعركم أنَّها إذا جاءت لا يؤمنون، كان ذلك عذراً لهم.

وأهل المدينة يقولون " أنها ". فقال الخليل: هي بمنزلة قول العرب: ائت السُّوق أنك تشتري لنا شيئاً، أي لعلَّك، فكأنه قال: لعلها إذا جاءت لا يؤمنون.(109)

وقد يستشهد سيبويه بقراءة بلغة ورودها في بعض المصاحف من غير أن يشير إلى هذا المصحف أو يبينه ،ثم يؤكد هذا بسماعه إياها عن العرب يقول: وبلغنا أن هذا الحرف في بعض المصاحف: " وإذن لا يلبثوا خلفك إلا قليلاً ". وسمعنا بعض العرب قرأها ، فقال: " وإذن لا يلبثوا ".(110)

"على أن لبعض الباحثين رأيا آخر في موقف سيبويه من القراءات ،إذ اتخذ من رفض سيبويه استعمالات لغوية معينة ،ونقده بعضها،دليلا على معارضة سيبويه الصريحة حينا والخفية أحيانا للقراءات.فالدكتور أحمد مكي الأنصاري يورد ثلاث قراءات يزعم أن سيبويه وقف منها موقف المعارضة الصريحة.

**أولاها** :قراءة النصب في قوله تعالى :{أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون}(111)بنصب سواء.ويقول :"ثم جاء سيبويه – رحمه الله- فوصف قراءة النصب بالقبح والرداءة وهي قراءة سبعية كما ترى".

وأورد دليلا على ذلك قول سيبويه." واعلم أن ما كان في النكرة رفعا غير صفة، فإنه رفعٌ في المعرفة. من ذلك قوله جل وعز: " أمْ حَسِبَ الذين اجتَرحوا السّيّئاتِ أن نجعلَهُم كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ سَواءٌ مَحياهُم ومَمَاتُهُم "(112).

109 – انظر موقف سيبويه من القراءات د.خديجة الحديثي :ص/222.وانظر كذلك الكتاب لسيبويه123/3.

110– انظر موقف سيبويه من القراءات د.خديجة الحديثي :ص/222-223.وانظر كذلك الكتاب لسيبويه13/3.

111 – الجاثية /21.

112 – قرأ بها ابن كثير ونافع وأبو عمرو وغيرهم ، انظر معجم القراءات152/6،د.أحمد مختار عمر، ود.عبد العال سالم مكرم .

وتقول: مررت بعبد الله خيرٌ منه أبوه. فكذلك هذا وما أشبهه. ومن أجرى هذا على الأول، فإنه ينبغي له أن ينصبه في المعرفة ،فيقول: مررتُ بعبد الله خيراً منه أبوه. وهي لغةٌ رديئة"(113).وقوله:" ولو قلت: مررت بخيرٍ منه أبوه كان قبيحا"(114) وقوله:" وأما قوله: مررت برجلٍ سواءٍ والعدمُ، فهو قبيح حتى تقول: هو والعدمُ... فإن تكلّمتَ به على قبحه رفعتَ العدمَ، وإن جعلته مبتدأ رفعتَ سواء".(115)

الثانية : قراءة إبدال الهمزة ياء في الوصل في قوله تعالى:{ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ}(116) وأورد قول سيبويه :"زعموا أن أبا عمرو قرأ (يا صالح ايتنا ) جعل الهمزة ياء ،ثم لم يقلبها واوا ، لم يقولوا هذا في الحرف الذي ليس متصلا ، وهذه لغة ضعيفة ".

الثالثة : قراءة الرفع في قوله تعالى :{ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسنُ}(117) قال الدكتور الأنصاري :"أما سيبويه ومن لف لفه من البصريين والمتبصرين ، فإنهم يهاجمون هذه القراءة ويرمونها بالضعف و القبح والشذوذ ..."وأورد قول سيبويه :" واعلم أن (كفى بنا فضلا على مَن غيرُنا )أجود وفيه ضعفٌ ،إلا أن يكون فيه (هو)، لأن هو من بعض الصلة، وهو نحو مررت بأيُّهم أفضلُ،وكما قرأ بعض الناس هذه الآية: " تماما على الذي أحسَنُ ".(118)

واعلم أن(كفى بنا فضلا على من غيرُنا) أجود وفيه ضعف إلا أن يكون فيه(هو)لأن هو من بعض الصلة وهن نحو مررت بأيهم أفضل،وكما قرأ بعض الناس هذه الآية"تماما على الذي أحسنُ"واعلم أنه قبيح أن تقول :"هذا مَنْ منطلقٌ" إذا جعلتَ المنطلق حشوا أو وصفا، فإن أطلتَ الكلام فقلت :(مَن خيرٌ منك، حسُن في الوصف والحشو.

113 - الكتاب لسبويه 33/2.
114 - المصدر السابق 34/2.
115 -المصدر السابق 31/2.
116 - الأعراف /77.
117 -الأنعام /154.
118 -قرأ بذلك الحسن والأعمش وغيرهم، انظر معجم القراءات335/2،د.أحمد مختار عمر، ود.عبد العال سالم مكرم .

زعم الخليل رحمه الله أنه سمع من العرب رجلا يقول: ما أنا بالذي قائلٌ لك سوءا، وما أنا بالذي قائل لك قبيحا. فالوصف بمنزلة الحشو المحشو لأنه يَحسن بما بعده كما أن الحشو المحشوَّ إنما يتم بمابعده.(119)

ثم عقب الأنصاري عليه بالقول :فأنت ترى أن سيبويه – رحمه الله –وصف هذا الصنيع بالضعف والقبح ،وتصدى للآية ، فذكرها صراحة حين قال : (وكما قرأ بعض الناس هذه الآية : (تماما على الذي أحسنُ )).(120)

فهذا هو خلاصة رأي الدكتور الأنصاري قائلا:"وإذا أردنا الدقة قلنا :أن الخليل بن أحمد هو أول من فتح باب الطعن ،وعنه أخذ سيبويه ،وإليك نص ما جاء بالكتاب ، قال سيبويه:"ومما يقبح أن يشركه المظهر علامة المضمر ،وذلك قولك : مررت بك وزيد...وأما الإشراك في فعلت وفعلتم إلا بأنت وأنتم ،وهذا قول الخليل ...وقد يجوز في الشعر بأن تشرك بين الظاهر والمضمر على المرفوع والمجرور إذا اضطر الشاعر ،وجاز قمت أنت وزيد ،ولم يجز مررت بك أنت وزيد لأن الفعل يستغنى بالفاعل والمضاف لا يستغنى بالمضاف إليه لأنه بمنزلة التنوين.(121)

وقد رد عليه الدكتور رمزي بعلبكي هذا الزعم ونفى أن يكون في الأمثلة السابقة معارضة صريحة،وقال إن الأمثلة الثلاثة التي ذكرها الأنصاري دليلا لا يقبل الجدل على ما قاله من معارضة سيبويه الصريحة الاحتجاج بالقراءات ليست صريحة كما أراد لنا الأنصاري أن نعتقد ،ففي المثال الأول يزعم الأنصاري أن سيبويه وصف قراءة :( سواء محياهم ومماتهم ) بنصب (سواء ) بأنها قبيحة ورديئة ،مع أن سيبويه لم يشر إشارة واضحة إلى قراءة النصب ولا أجرى عليها حكمه القيمي ،وإنما أشار إلى قراءة الرفع مثالا للاستعمال الصحيح مقارنا بجملة (مررت بعبد الله خير منه أبوه ) ،وقال :إن استعمال (خيرا) لغة رديئة ، فليس إذن دليلا صريحا على رفض القراءة،إلا إذا كان من الممكن إثبات أن قراءة (سواء ) بالنصب كانت في ذهنه حين ذكر ذلك ، ومن المنطقي أن وصفه ل (خيرا) بأنها لغة رديئة لا يمكن أن

119 – الكتاب لسيبويه 2/107-108.

120 – أصول النحو العربي 35-37 د. محمود أحمد نحلة.

121 – الدفاع عن القرآن ضد النحويين والمستشرقين ،ص 2-3 ،د. أحمد مكي الأنصاري ،دار المعاف، مصر،1393هـ-1973.وانظر أيضا الكتاب 1/381.

يشمل(سواء ) دون حجة أقوى من هذه ؛ إذ لا يمكن بحال إثبات أن سيبويه كان على علم بهذه القراءة.

وفي المثال الثاني يرى الدكتور بعلبكي أن من الطريف أن نلحظ أن سيبويه وصف اللغة ولم يصف القراءة بالضعف ، ولعل في هذا دليلا آخر على احترام سيبويه للقراءات ؛ لأنه عند مقارنة القراءة بلغة من لغات العرب يتجنب الوقوع في النقد الصريح للقراءة ، ويعمد إلى وصف المثال بالضعف .

وفي المثال الثالث يرى الدكتور بعلبكي أن سيبويه أشار إلى هذه القراءة (تماما على الذي أحسنُ ) في سياق حديثه عن شطر بيت من الشعر هو : (وكفى بنا فضلا على من غيرُنا )، بالرفع على غيرنا بالكسر . قلت : من الواضح في نص سيبويه أنه حين قال : " أجود وفيه ضعف أعقب ذلك بقول :"إلا أن يكون فيه (هو) ؛ لأن هو من بعض الصلة" أى أننا إذا اعتبرناه خبرا لمبتدأ محذوف تقديره هو فقد برئ من الضعف ؛لأن الصلة عندئذ تكون جملة تامة ، على نحو ما قرأ بعضهم (تماما على الذي أحسنُ ) أى :هو أحسنُ . من ثم كان الدكتور بعلبكي على حق حين قال :"من المبالغة الزعم بأن سيبويه عارض قراءات معينة معارضة صريحة " وقد مضى الدكتور الأنصاري يسوق قراءات يرى أن سيبويه عارضها معارضة خفية منها قراءة النصب في قوله تعالى :( هؤلاء هن أطهرَ لكم ) بنصب أطهر وقراءة إسكان التاء في قوله تعالى ( إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ) وقراءة النصب في قوله :( كُنْ فَيَكُونُ ) بنصب يكون ،وتحقيق الهمز في (نبي) و(بريئة) ، وإسكان حرف الإعراب المتحرك في نحو قوله تعالى :( فتوبوا إلى بارئكم) ، وهمز (معائش ) في قوله تعالى:( ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش )، واستعمال (ودع ) ماضي يدع في قوله تعالى :والضحى و الليل إذا سجى.ما ودعك ربك وما قلى ) ثم أعقب ذلك بقوله:

"والخلاصة أن سيبويه –رحمه الله–كان يتصدى لبعض هذه القراءات ويعارضها معارضة خفية دون أن يذكر نص الآية بصراحة، ولكنه يضع القاعدة التي تصطدم بهذه القراءات وتعارضها أشد المعارضة ".

ولما كان هذا النوع من المعارضة الخفية أقرب إلى الإقناع كما يقول الدكتور بعلبكي وكان النوع الأول (المعارضة الصريحة)لا يكاد يثبت على التمحيص ،فإن

من الممكن القول بأن معارضة سيبويه لبعض القراءات هي معارضة غير صريحة تثبت بوضوح احترامه البالغ للقراءات من جهة ،والصراع الناشب بين المادة اللغوية المتشعبة والقواعد النحوية التي يراد لها الاطراد من جهة أخرى. (122)

ورغم كثرة استشهاد سيبويه في كتابه بالقراءات إلا أنه لم يكن "يرمي في كتابه إلى تبيين موقفه من القراءات أو الكشف عن وجوهها ، وإنما كان في سبيل عرض الأصول النحوية التي وجدها في لغة العرب ،من قرآن وقراءات وشعر وأمثال ولهجات .وقد استعان بالقراءات النادرة والحروف المخالفة في بناء أصوله مثلما استعان بالقراءات المعروفة، وطوعها كسائر المصادر لمقاييسه ،فجاءت في كتابه منثورة في مواقع مختلفة.فمرة نجده يثبت بها قاعدة ،ومرة يؤيد القاعدة بها ،وثالثة يقيس عليها، ورابعة يجعلها أصلا يخرج عليه بعض القراءات،وخامسة يقوي شاهدا شعريا ، وسادسة يحملها على بعض أقوال العرب ،وسابعة يوردها مثالا في زحمة الأمثلة ، فلا تثير مشكلة أو نقاشا .أما إذا اصطدمت القراءة بمقاييسه ،فإننا لا نجده يعدم المخرج والملاك العام لديه هو القبول والاحترام.(123)

هذا هو موقف سيبويه من القراءات ،لا يرد قراءة ،لا يخطئ قراءة،لا يقدح قراءة أو يعيبها،وإنما يلتمس السبل لتوجيه ما يتعرض له من قراءات في ضوء ما يعرفه من كلام العرب ويقيس القراءة على كلام العرب ويراها موافقة له ، و لا يألو إلى كل ذلك جهدا.ومن هذا العرض كذلك يتبين لنا "موقف سيبويه من القراءات واهتمامه بها كما اتضح لنا أنه كان يراها موافقة للأصول للعربية أو للغات العرب الذين يستشهد بكلامهم وأساليبهم من شعر ونثر ،فإن بعد بعضها عن الاستعمال أو المشهور وجهه توجيها يرده إلى المشهور والكثير الغالب.وإن ورد منها ما خالف القياس واللغة الفصحى أرجعه إلى إحدى لغات العرب وذكر المتكلمين بهذه اللغة وسماها كلغة هذيل وتميم ونحوها،أو لم يذكر المتكلمين بهذه اللغة ولم ينص عليها واكتفى بقوله :إنها على لغة من لغات العرب أو سمعها من عربي أو هو قول العرب أو قول عامة العرب ونحو ذلك من العبارات التي ليس فيها مطعن في القارئ ولا في

122 – أصول النحو العربي 35-39 د. محمود أحمد نحلة.

123 – القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي ،ص 113،د. محمود أحمد الصغير ،دار الفكر المعاصر ،بيروت،لبنان،دار الفكر المعاصر ،دمشق،سورية،سنة1999م.

القراءة من قريب أو من بعيد.وقد يتأول هو أو أحد شيوخه ما ورد في القراءة المخالفة لسواد المصحف أو للقراءة المشهورة بوجه من الوجوه الحسنة كي لا ينكرها أو يردها أو يسخفها كما كان يفعل غيره ممن جاء بعده من النحاة."(124)

وقد كان سيبويه وفيا للقراءات التي كان يراها سنة ينبغي ألا تخالف، فقد وصفها في كتابه بقوله : "إلا أن القراءة لا تخالف ؛ لأن القراءة السنة"(125) وقد كان رحمه الله " أمينا على منهج أستاذه الخليل في تصحيح ما يروي من وجوهها ، لا يبخل عن وصف بعضها بالقوة أو الحسن مادامت توافق الذائع المعروف من كلام العرب ، الذي يتوخى فيه ضبط لغة القرآن وصونها من التحريف.(126)

## المبحث الثالث:موقف الأخفش الأوسط من القراءات:

الأخفش الأوسط هو :"إِمَامُ النَّحْوِ، أَبُو الحَسَنِ سَعِيْدُ بنُ مَسْعَدَةَ البَلْخِيُّ، ثُمَّ البَصْرِيُّ، مَوْلَى بَنِي مُجَاشِعٍ ت 215هـ. (127)

"من المعروف أن الأخفش هو أحد تلاميذ سيبويه وهو الوحيد الذي روى عنه كتابه ، وعنه أخذه أبو عمر الجرمي وأبو عثمان المازني ، والكسائي ،والفراء."(128)

ويقول د.شوقي ضيف –رحمه الله– عن الأخفش أنه "هو أكبر أئمة النحو البصريين بعد سيبويه، ...وأنه هو الذي فتح أبواب الخلاف عليه ، بل هو الذي أعدّ لتنشأ ، فيما بعد مدرسة الكوفة .(129)

" لم يكن الأخفش يقف من هذا الأثر عموما ما كان يقفه الشيوخ من إجلال،وإنما أخضعه لمنهجه ووقف منها موقف المتحرر .فهو ، على احترامه لرسم المصحف لا يتورع عن رفض كثير من القراءات المشهورة ووصفها باللحن ،والرداءة،وهو لا يفرق بين قراءة مشهورة وأخرى نادرة ،توافق الرسم

124 – موقف سيبويه من القراءات د.خديجة الحديثي :ص/223.

125 – انظر الكتاب لسيبويه 148/1.

126 – القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي ،ص 118،د. محمود أحمد الصغير.

127 – انظر سير أعلام النبلاء،10 /206-208،شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : 748هـ)

128 – حقيقة رأي الكوفيين والبصريين في الاستشهاد بالقراءات القرآنية على قواعدهم النحوية ،د. عبد الفتاح محمد عبوش/151.

129 –المدارس النحوية،د.شوقي ضيف /95.

أو تخالفه في بناء القاعدة أو شرحها، بل يعتمد في كثير من الأحيان على القراءات النادرة التي انفرد برواية كثيرة منها ويفضلها على المشهورة أو يصحح المشهورة عليها ،أو يضعفها ويصفها بالقبح والشذوذ،ولكنه في الغالب يقبلها ويوجهها على مذاهب العربية ويقرر ببعضها قواعد إلى هيكل العربية (130).

"فقد استدل الأخفش في كتابه معاني القرآن بما يقرب من مئة واثنتين وعشرين قراءة. منها اثنتان وسبعون قراءة متواترة ،وخمسون قراءة شاذة.[131]

ومن ذلك أنه وصف بعض القراءات بأنها غير جائزة وذلك في قوله تعالى:" { وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ }(132) قال {وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ} يقول: "وانْ كانَ مِمَّن تُقاضُونَ ذو عسرة فعليكم أن تنظروا الى الميسرة" ... وإن شئت لم تجعل لـ"كان" خبرا مضمرا وجعلت "كانَ" بمنزلة: "وَقَعَ" ، وقال بعضهم {مَيْسُرِهِ}(133) وليست بجائزة ؛ لأنه ليس في الكلام "مَفْعُلٌ". ولو قرءوها {مُوسَرِهِ} جاز.(134)

ووصف الأخفش بعض القراءات بأنها قبيحة و مثال ذلك قوله تعالى :{ وَإِن كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِباً فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلاَ تَكْتُمُواْ الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ }(135)

130 – القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي ،ص 118-119،د. محمود أحمد الصغير .

131 – حقيقة رأي الكوفيين والبصريين في الاستشهاد بالقراءات القرآنية على قواعدهم النحوية ،د. عبد الفتاح محمد عبوش/152.

132 – البقرة /280.

133 – قرأ بذلك مجاهد وابن يعقوب وغيرهم، انظر معجم القراءات219/1،د.أحمد مختار عمر، ود.عبد العال سالم مكرم .

134 – معاني القرآن ،203/1-204،لأبي الحسن سعيد بن مسعدة(الأخفش الأوسط)،تحقيق د.هدي محمود قراعة ،مكتبة الخانجي ، القاهرة، ط1، 1411هـ-1990م .

135 – البقرة /283.

قال {فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ} تقول: "رَهْنٌ"، و"رِهانٌ" مثل: "حَبْلٌ" و"حِبالٌ". وقال أبو عمرو: "فَرُهُنٌ"(136) وهي قبيحةٌ لأنَّ "فَعْلاً" لا يجمع على "فُعُل" إلا قليلاً شاذاً.(137)

وقد وصف الأخفش بعض القراءات بأنها رديئة مثال لذلك قوله تعالى : { يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَآءَ لَهُمْ مَّشَوْاْ فِيهِ ...}(138)
أما {يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ} فمنهم من قرأ (يَخْطِفُ)[139] من "خَطَفَ" وهي قليلة رديئة لا تكاد تعرف.(140)

ووصف قراءة غير متواترة بقوله "وهذا الوجه إلا أنه لا يقرأ " ويوحي ذلك بتفضيله لهذا الوجه على القراءة المتواترة وذلك في توجيهه لقوله تعالى : { مَن جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ }(141)
"وقال {فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا} على العدد كما تقول: "عَشْرُ سُودٍ"، فإن قلت كيف قال "عَشْر" و"المِثَل" مذكر؟ فإنما أنث لأنه أضاف إلى مؤنث وهو في المعنى أيضاً "حَسَنَةٌ" أو "دَرَجةٌ". فإِنْ أَنَّثَ على ذلك فهو وجه. وقال بعضُهم {عَشْرٌ أمْثالُها}(142) جعل "الأمثال" من صفة "العشر". وهذا الوجه إلا أنه لا يقرأ؛ لأنَّه ما كان من صفة لم تُضِف إليه العدد. ولكن يقال: "هُمْ عَشَرَةٌ قيامٌ" و"عشَرةٌ قُعُودٌ" لا يقال: "عشَرةُ قيامٍ"."(143)

136 – قرأ بذلك بن كثير وأبو عمرو وغيرهم. انظر معجم القراءات227/1،د.أحمد مختار عمر، ود.عبد العال سالم مكرم .
137 – معاني القرآن ،206/1،لأبي الحسن سعيد بن مسعدة(الأخفش الأوسط).
138 – البقرة /20.
139 – قرأ بذلك يحي بن وثاب ومجاهد وغيرهم . انظر معجم القراءات33/1،د.أحمد مختار عمر، ود.عبد العال سالم مكرم .
140 – معاني القرآن ،54/1-55،لأبي الحسن سعيد بن مسعدة(الأخفش الأوسط).
141 – الأنعام /160.
142 – قرأ بذلك يعقوب والحسن وسعيد بن جبير وغيرهم، انظر معجم القراءات :338/2،د.أحمد مختار عمر، ود.عبد العال سالم مكرم .
143 – معاني القرآن،لأبي الحسن سعيد بن مسعدة(الأخفش الأوسط):317/1-318.

ووصف قراءة بأنها حسنة ثم يضيف بأنه لم يسمعها من العرب ومثال ذلك قوله تعالى { قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }(144) وقال {دِيناً قِيِّماً} (145)أيْ: مستقيما ،وهي قراءة العامة، وقال أَهْلُ المدينة {قِيَما} وهي حسنة ولم أَسمَعها من العرب وهي في معنى المفسر.(146)

ووصف الأخفش قراءة متواترة بأنها لغة شاذة قليلة مثال ذلك قوله تعالى: أما قوله {أَنُؤْمِنُ كَمَآ آمَنَ السُّفَهَآءُ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفهآءُ}(147) فقد قرأهما قوم مهموزتين جميعا، وقالوا {سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ}(148) [و] {وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّءُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ} (149) وقالوا (أئذا) {أَئنا} كل هذا يهمزون فيه همزتين، وكل هذا ليس من كلام العرب الا شاذا. ولكن اذا اجتمعت همزتان شتى ليس بينهما شيء فان احداهما. تخفف في جميع كلام العرب الا في هذه اللغة الشاذة القليلة.(150)

ووصف الأخفش القراءة متواترة في أكثر من موضع بأنها خلاف الكتاب وذلك في قوله تعالى: {لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ}(151) فقوله {فَأَصَّدَّقَ} جواب للاستفهام، لأنَّ {لَوْلا} ها هنا بمنزلة "هلا" وعطف {وَأَكُن} على موضع {فَأَصَّدَّقَ} لأنَّ جواب الاستفهام اذا لم يكن فيه فاء جزم. وقد قرأ بعضهم {فَأَصَّدَّقَ وَأَكُونَ}(152)عطفها على ما بعد الفاء وذلك خلاف الكتاب.(153)

144 – الأنعام /161.

145 – قرأ بذلك نافع وابن كثير وأبو عمرو وغيرهم. انظر معجم القراءات339/2،د.أحمد مختار عمر، ود.عبد العال سالم مكرم .

146 – معاني القرآن،لأبي الحسن سعيد بن مسعدة(الأخفش الأوسط) : 318/1.

147 – البقرة/13.

148 – البقرة/6.

149 – فاطر/43.

150 – معاني القرآن،لأبي الحسن سعيد بن مسعدة(الأخفش الأوسط) :44/1-45.

151 – المنافقون /10.

152 – قرأ بذلك أبو عمرو،وعبد الله بن مسعود،ومجاهد،وغيرهم. انظر معجم القراءات155/7،د.أحمد مختار عمر، ود.عبد العال سالم مكرم .

153 – معاني القرآن،لأبي الحسن سعيد بن مسعدة(الأخفش الأوسط) :69/1.

ووصف قراءة متواترة أيضا بأنها ليس لها مذهب في العربية وذلك في قوله تعالى: {لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوْاْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلاَ تَحْسَبَنَّهُمْ}(154) فإِنَّ: الآخِرَةَ بَدَلٌ من الأولى والفاء زائدة. ولا تعجبني قراءة من قرأ الأولى بالياء [اذ] ليس لذلك مذهب في العربية لأنه اذا قال {لاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوْاْ}[155] فإنَّه لَمْ يوقِعْه على شيء.

النتائج:

1-رجح سيبويه بين القراءات ووصف بعضها بأنها أجود من الأخرى وإن كانت الأخرى عربية فصيحة.

2- تصدى سيبويه –رحمه الله– لبعض القراءات وعارضها معارضة خفية دون أن يذكر نص الآية بصراحة، ولكنه يضع القاعدة التي تصطدم بهذه القراءات وتعارضها أشد المعارضة.

3- ورغم كثرة استشهاد سيبويه في كتابه بالقراءات إلا أنه لم يكن "يرمي في كتابه إلى تبيين موقفه من القراءات أو الكشف عن وجوهها ، وإنما كان في سبيل عرض الأصول النحوية التي وجدها في لغة العرب ،من قرآن وقراءات وشعر وأمثال ولهجات .وقد استعان بالقراءات النادرة والحروف المخالفة في بناء أصوله مثلما استعان بالقراءات المعروفة، وطوعها كسائر المصادر لمقاييسه.

4- "لم يكن الأخفش يقف من هذا الأثر عموما ما كان يقفه الشيوخ من إجلال،وإنما أخضعه لمنهجه ووقف منها موقف المتحرر .فهو ، على احترامه لرسم المصحف لا يتورع عن رفض كثير من القراءات المشهورة ووصفها باللحن ،والرداءة،وهو لا يفرق بين قراءة مشهورة وأخرى نادرة ،توافق الرسم أو تخالفه في بناء القاعدة أو شرحها، بل يعتمد في كثير من الأحيان على القراءات النادرة التي انفرد برواية كثيرة منها ويفضلها على المشهورة أو يصحح المشهورة عليها ،أو يضعفها ويصفها بالقبح والشذوذ،ولكنه في الغالب يقبلها ويوجهها على مذاهب العربية ويقرر ببعضها قواعد إلى هيكل العربية.

154 - آل عمران/188.

155 - قرأ بذلك ابن كثير،وأبو عمرو،نافع،وابن عامر،ويعقوب،وغيرهم. انظر معجم القراءات94/2،د.أحمد مختار عمر، ود.عبد العال سالم مكرم .

5- استدل الأخفش في كتابه معاني القرآن بما يقرب من مئة واثنتين وعشرين قراءة. منها اثنتان وسبعون قراءة متواترة ،وخمسون قراءة شاذة.

المصادر والمراجع:

1 - د.أحمد مختار عمر، ود.عبد العال سالم مكرم .معجم القراءات، ط2: 1408هـ ،1988م،مطبوعات جامعة الكويت.

2-أحمد مكي الأنصاري(دكتور)، الدفاع عن القرآن ضد النحويين والمستشرقين ،دار المعاف، مصر،1393هـ-1973.وانظر أيضا الكتاب 381/1.

3-د.إميل بديع يعقوب المعجم المفصل في شواهد اللغة ،دار الكتب العلمية ،بيروت ، لبنان،ط1417،1هـ - 1996م.

4- ابن الجزري ،نجد المقرئين ومرشد الطالبين،9/1 ، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: 833هـ)،الناشر: دار الكتب العلمية،الطبعة: الأولى 1420هـ -1999م.

5- (الجوهري)،الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،إسماعيل بن حماد تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت،الطبعة: الرابعة 1407 هـ - 1987 م.

6- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر،الطبعة : 1399هـ - 1979م

7- خديجة الحديثي(دكتور) موقف سيبويه من القراءات والحديث ، مجلة كلية الآداب/جامعة بغداد ، /185، ،العدد/14،المجلد الأول،1مطبعة المعارف بغداد،1970.

8- الذهبي، سير أعلام النبلاء، الذهبي (الامام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان المتوفى748 هـ 1374 م)، تحقيق:شعيب الأرنؤوط ،مؤسسة الرسالة، الطبعة التاسعة 1413 هـ 1993 م ،بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي.

9- السيد رزق الطويل، مدخل في علوم القراءات، المكتبة الفيصلية،الطبعة الأولى 1405هـ - 1985م.

(السيوطي) الإتقان في علوم القرآن 309/1-310 أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ،شهرته : السيوطي،تحقيق: مركز الدراسات القرآنية،دار النشر : مجمع الملك فهد،البلد : السعودية،الطبعة : الأولى

10- .شوقي ضيف،(دكتور) المدارس النحوية ،الطبعة السابعة،دار المعارف.

11- الفرزدق،ديوان الفرزدق،شرحه وضبطه الأستاذ علي فاعور ،دار الكتب العلمية بيروت ،لبنان ،ط1407،1هـ-1987م.انظر الكتاب لسيبويه ص2/ 415-416.

12-أبي طاهر عبد القيوم بن عبد الغفور السندي صفحات في علوم القراءات،12/1، ،المكتبة الأمدادية،الطبعة الأولى- 1415 هـ.

13- عبد الصبور شاهين،(دكتور) ، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث مكتبة الخانجي القاهرة.

14- عبد الصبور شاهين ،( دكتور) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ،ط1 ، 1408 -1987م، مكتبة الخانجي القاهرة.

15- أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ، المقتضب،،جمهورية مصر العربية، وزارة الأوقاف ،المجلس الأعلى للشئون الإسلامية،لجنة إحياء التراث الإسلامي،تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة،القاهرة/1415هـ-1994م.

16- محمد الحبش(الدكتور)،19/1 القراءات المتواترة وأثرها في اللغة العربية والأحكام الشرعية والرسم القرآني،،جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية كلية الدراسات العليا والبحث العلمي،السودان . أم درمان.

17- محمد عبد الفتاح عبوش. ،أستاذ مساعد كلية التربية ،جامعة تغر حقيقة رأي البصريين والكوفيين في الاستشهاد بالقراءات القرآنية علي قواعدهم النحوية، مجلة دراسات يمنية العدد.

18- محمد عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن، ،دار الفكر - بيروت،الطبعة الأولى ، 1996،تحقيق : مكتب البحوث والدراسات.

19 - ،محمود أحمد نحلة(دكتور) ، أصول النحو العربي ، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان،ط1407،1هـ-1987م.

20- مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، صحيح مسلم: : دار إحياء التراث العربي – بيروت ،تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي

21- ، ابن منظور ، لسان العرب: دار صادر – بيروت،الطبعة الأولى، -المحقق : محمد أبو الفضل إبراهيم،الطبعة : الأولى ، 1376 هـ - 1957 م،: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.